

معركة عدوى*

للأستاذ الفريق طه باشا الهاشمي

رئيس أركان حرب الجيش العراقي

أخذت الجرائد والمجلات في الآونة الأخيرة تبحث في معركة عدوى التي انتصر فيها الأجيال على الطليان . وكثيراً ما يذكرها الطاغية موسوليني ، ويبحث الشبان الناشبت على نحو وصمة العار التي لحقت بالجيش الطلياني ، ويعلمون لذلك أنه عازم على الانتقام من الأجيال

وقعت هذه المعركة في ١ مارس ١٨٩٦ في أطراف عدوى بين الجيش الطلياني البالغ عدده زهاء عشرين ألفاً ، والجيش الحبشي البالغ مقداره زهاء ثمانين ألفاً ؛ وبرغم حيازة الجيش الطلياني على الأسلحة الجيدة ، وتنظيمه على أحدث الأساليب ، انتصر الأجيال عليه انتصاراً ميبيناً ، وأوقعوا به خسارة فادحة بلغت ٢٤٨ ضابطاً ، و ١٥٤٠٠ جندي ، بين قتيل وجريح وأسير ، ونالوا بذلك شك استقلالهم الذي امتنعت إيطاليا عن الاعتراف به

لم يكن الجيش الحبشي جيشاً منظماً على الوجه المطلوب ، بل كان مؤلفاً من أناس مسلحين بأسلحة متنوعة ، كالبندقية والحربة والسيوف والترس والقوس وغير ذلك ، وكان يقودهم رؤسائهم على الطريقة البدوية ، وكانت مدافعه قديمة يبالغ عددها الأربعين ؛ وكان لدى الجيش الطلياني أربعة وستون مدفعاً حديثاً وقبل البحث في هذه المعركة رأينا من المفيد أن نذكر باختصار جغرافية الحبشة وتاريخها وعلاقتها بالدول المستعمرة

(*) أصدر الجنرال التركي كاظم قره بكر باشا كتاباً جليلاً عن الحبشة ؛ وعنوانه « إيطاليا والحبشة » ، وهذا الجنرال من أشهر قادة الترك الذين برزوا في الحرب العامة وفي حرب الاستقلال ، وكان يقود الجيش التركي المرابط في شرق الأناضول في حرب الاستقلال ، وتناوب على الجيش الأرميني فأصاب إلى تركيا مقاطعتي القرم وأردهان ، وبعد تلك الحرب انتخب مندوباً في المجلس الوطني الكبير . وكان مارعاً لافناء الخلافة فلم ينتخب بعد ذلك ، فاعتزل السياسة وتبع في داره في استانبول ، وانكب في اللذة الأخيرة على التأليف فأصدر الكتاب المذكور . والكتاب يقع في ٤٣٨ صفحة ، وهو مزين بالرسوم والخرائط ، وقد وضعه بعد أن طالع مؤلفات كثيرة وهو شامل كل ما يحتاج إليه القارئ . وقد اتبعت منه أكثر المعلومات الواردة في هذا المقال

أفي كل يوم منك عتب يسروني
(بكلمود صخر حطه السيل من عل)

وترى على طول السدى متجنباً
(بهميك في أعشار قلب مقتل)

فأسي بيلدر طال جنح ظلامه
(على بأنواع الموم ليتلى)

واغدو كأن القلب من وقدة الجوى
(إذا جاش فيه حتميه غلى مرجل)

تطير شظاياه بصدرى كأنها
(بأرجائه القسوى أنابيش عنصل)

وسالت دموعي من هموي ولوعتي
(على النجر حتى بل دمي محلى)

وهي طويلة ، وقد أجاهه ابن نباتة بقصيدة مثلها ضمنها شعر امرئ القيس أيضاً ، قال :

فطمت ولأني ثم أقبلت جانباً
(أفاطم مهلاً بعض هذا التدل)

بروح ألقاظ تعرضت عنها
(تعرض أثناء الوشاح الفصّل)

فأحين ودأ كان كالرم عافياً
(بسقط اللوى بين الدخول فومل)

تعق رباح الصدر منك وقومك
(ليا نسجت من جنوب وشمال)

نعم قوضت منك المودة وانقضت
(في أعجاب من رحلها التحمل)

وهي طويلة أيضاً

فهل ترى في هذا الشعر غير القدرة على الملازمة بين شعرها
وشعر امرئ القيس ، والمهارة في التوفيق بين المعاني المتباعدة ،

والأغراض المتباينة ؟ على أن هذه القدرة ضائفة القيمة حقيرة
الخطر إذا قيست بما جرت تكلف التضمين على هذه الأبيات من

تفاهة وبرود ، وخلوها من روح الشعر . ولنا في هذه الفصول
عودة إلى شعراء البديع وغيرهم ممن يحرصون على إظهار القدرة

اللفظية أكثر من غيرها في شعرهم
أحمد الزين

جغرافية الحبشة

تقع الحبشة في الشمال الشرق من افريقية ، ويحيط بها من الشرق مستعمرة اريترة الطليانية ، والمستعمرات الصومالية الفرنسية ، والبريطانية والاطليانية ؛ ومن الشمال مستعمرة اريترة والسودان المصري ؛ ومن الغرب والجنوب المستعمرات البريطانية في وسط افريقية

ولا منفذ للحبشة إلى البحر الأحمر ، وقد سدت دول الاستعمار طريق البحر في وجهها ، فجعلتها خاضعة لها في تجارتها واقتصادياتها . وتبلغ مساحتها السطحية زهاء ٤٠٠,٠٠٠,١٢٠ كيلوا مترا مربعا ؛ وتقدر نفوسها بانني عشر مليوناً ؛ وهذه النفوس لا تنتمي إلى قومية واحدة ، ولا تدين بدين واحد ؛ وفيما يلي الشعوب التي يتألف منها سكان الحبشة :

الأعمره ، الغالا ، السيدامو ، الصومال ، الدناكل ، الزنوج ودين الدولة الرسمي المسيحية ، والذهب يعقوب . وفيما يلي عدد النفوس بالنظر إلى الأديان :

العدد	
٤,٥٠٠,٠٠٠	مسيحيون (يعاقبة)
٣,٥٠٠,٠٠٠	مسلمون
٣,٥٠٠,٠٠٠	وثنيون
٥٠٠,٠٠٠	يهود
٤٠٠,٠٠٠	كاثوليك
٥٠,٠٠٠	الاتحاد اللاتيني

واللغة الرسمية هي اللغة الأعرية وهي شعبة من اللغات السامية والعاصمة أديس أبابا ونفوسها زهاء ١٠٠,٠٠٠ نسمة وهي متصلة بالبناء جييوئي عاصمة المستعمرة الفرنسية بالسكة الحديدية

وصف البلاد — السهول والجبال

تتألف بلاد الحبشة من جبال وسهول . والأراضي السهلة واقعة بالقرب من الساحل . أما الأراضي الجبلية فهي في داخل البلاد . وإذا ما أنعمنا النظر في خريطة الحبشة رأينا أن سلاسل الجبال الواقعة إلى الشرق وإلى الجنوب قد كونت مثلثاً متساوي

الأضلاع : الضلع الشرق منه ضفاف البحر الأحمر وخليج عدن ، والضلع الجنوبي يمتد من رأس عسير المقابل لجزيرة سومطرة إلى الشرق ، والضلع الغربي يمتد من الشمال إلى الجنوب والأرض الواقعة في هذا المثلث هي الأرض السهلة المتموجة من بلاد الحبشة والتاخة لمستعمرة اريترة الطليانية والصومال الفرنسي والبريطاني . والقسم الشمالي منها صحراء دناكل القاحلة ، وإلى جنوبي الضلع الجنوبي من ذلك المثلث تقع أرض سهلة متموجة أخرى تتألف منها بلاد الغالا وفيها قسبة ولوال التي نشأ الخلاف عليها بين إيطاليا والحبشة

وليس الأرض المتموجة خالية من الجبال ، فالجبال منتشرة فيها هنا وهناك ، إلا أنها أقل وعورة من المناطق الجبلية الواقعة إلى غربي الضلع الغربي من المثلث المذكور . ومع ذلك تقع سفوح الجبال الشرقية إلى شرق هذا الضلع وهي شديدة الانحدار كثيرة المناعة والوعورة

والجبال في الحبشة تحيط البلاد الداخلية بسور منيع طالما وقف في وجه المستعمرين وساعد الأبحاش على الاحتفاظ باستقلالهم

ويشبه الوضع الجبلي في داخل بلاد الحبشة خطوطاً مستحكمة ، تخط منها في الشرق يمتد من الشمال إلى الجنوب على موازاة الساحل ويسيطر على السهول ويسد طرق الاستيلاء الممتدة من الساحل . وهذا الخط هو السلسلة التي تؤلف ضلع المثلث الغربي

وهناك خط آخر ممتد من رأس عسير في الصومال البريطانية على موازاة ساحل خليج عدن الجنوبي إلى أن يصل إلى قسبة (هرر) ^(١) ثم ينطف نحو الجهة الجنوبية الشرقية ثم إلى الجنوب موازياً للبحيرات الواقعة في جنوبي الحبشة ، وهو السلسلة التي تؤلف الضلع الجنوبي للمثلث . وهذا الخط يعلو ارتفاعاً ويشدد مناعة كلما تقدسنا من الشرق إلى الغرب ، وكأنه الخط المستحکم الأول الذي يسد طرق الهجوم في وجه القوات الزاحفة من الصومال الطليانية للتوغل في صحراء الغالا

(١) لم تأكد من أسماء الأعلام بالضبط فكتبناها كما وردت في الكتب الأجنبية

أخذت الأرض في الارتفاع . وفي أريترة (على مسافة تتراوح بين ٥٠ و ٨٠ كيلومتراً من الساحل متصل هذه الأرض بالقسم الشمال من الخط الأول فتصبح شامخة وعرة ، مكسوة بالغابات والأحراج

وفي صحراء دناكل بالقرب من (عصب) تكون أرضاً متموجة قليلة المياه ، وذات شعاب ووديان ؛ وعلى مسافة (٢٠٠ إلى ٣٠٠) كيلومتراً من الساحل تصل إلى حدها الأعلى في الخط الأول حيث المضائق الوعرة ؛ ويتفاوت ارتفاع الذرى في هذا الخط من (٢٤٠٠ إلى ٤٣٠٠) متر ، ويبلغ الارتفاع في ذروة (أبونا يوسف) (٤٢٠٠) متر ، وفي ذروة (كلو) يبلغ ٤٣٠٠ متر ، وتقع قلعة (مجدلة) على هذا الخط

وفي الجنوب يبدأ السهل من ساحل البحر المحيط الهندي ويأخذ في الارتفاع إلى الغرب ، وعلى مسافة ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كيلومتراً من الساحل يبلغ من الارتفاع والوعورة مبلغاً يتكوّن هضاب «أوجان» و «بوران»

وتتفاوت الارتفاعات في هذا القسم من (٣٠٠ إلى ١٠٠٠) متر . وبالقرب من خليج عدن يبلغ الارتفاع في السلسلة التي تؤلف الخط الأول ٢٠٠٠ متر في جنوبي «بربرة»

وفي صحراء «الغالا» نجد الأرض متموجة ، والروابي قليلة الميل ، وهي ترتفع إلى جبال هراء بسهولة وتلتقي بالخط الثاني ، وتتفاوت المرتفعات في مراكز هذا الخط من (١٠٠٠) إلى (١٥٠٠) متر ، وفيها هضاب شامخة بأحدارات شديدة كأنها جدران يتفاوت ارتفاعها من (٢٠٠٠ إلى ٣٥٠٠) متر وسخورها بركانية

أما الجبال الداخلة التي تؤلف معاقل الحبشة ، فالهضاب فيها ترتفع (٢٠٠٠) متر كأنها قلعة أحاطت بها الجبال من الشمال والشرق والجنوب ، ومع ذلك لا يمكن تسلقها من جهة الغرب حيث يجرى النيل الأزرق إلا بصعوبة

وفي منطقة «غوجام» يبلغ الارتفاع في رأس «دانبجان» (٤٦٢٠) متر ، وهو أعلى ذروة في بلاد الحبشة

طه الرهاشمي

(تجميع)

وغير هذين الخطين توجد خطوط أخرى تمر بذرى الجبال الشامخة منفصلة عن الخط الشرق وممتدة من الشرق إلى الغرب على موازاة حدود أريترة الطليانية الشمالية كأنها خطوط مستحكمة متوازية لصد القوات المتقدمة من الشمال على التماقب ومع وقوع الأرض السهلة والأرض المتموجة والحافات الشرقية الوعرة في شرق الخط الأول الممتد من الشمال إلى الجنوب والسيطر على صحراء دناكل تشتد الأرض وعورة وتزداد مناعة في هذا الخط ذاته وفي غربيه - أي في الهضبة الحبشية التي تقطعها عدة سلاسل جبلية ممتدة من الشرق إلى الغرب على ما سبق ذكره ؛ وفي أطراف بحيرة تانا تلتف الجبال بعضها ببعض فتكون المعقل المركزي للحبشة بشكل منحرف ، ضلعا القصيران في اتجاهي الشرق والغرب ، وضلعا الطويلان في اتجاهي الشمال والجنوب ؛ وتقع العاصمة (أديس أبابا) في طرف الضلع الشرق

أما منطقة البحيرات الواقعة في جنوبي الحبشة فحاطة من الشرق والغرب بسلسلتين جبليتين ؛ وهما طرفا الخط الأول والخط الثاني الممتدين من الشرق إلى الغرب ، وفي وسط هاتين السلسلتين تملو البحيرات فتؤلف هضبة مرتفعة

مما تقدم نعلم أن داخل بلاد الحبشة قلعة منيعة ذات عدة خطوط مستحكمة تسيطر على السهول في الشرق والجنوب ، وهي مؤلفة من عدة معاقل كونها الهضاب الشامخة بجبالها وغاباتها وبحيرة (تانا) عند وادي النيل باليهاء في موسم الصيف بواسطة رافده النيل الأزرق ، وهي ذات خطورة خاصة لصر والسودان ، ولولاها لما فاض النيل في كل سنة فسحق الحقول الواسعة والمزارع الخصب التي ضرب بها المثل في فجر التاريخ ؛ وسبب ذلك أن الثلوج التراكم في ذرى الجبال تنوب فتختلط بالأمطار الغزيرة التي تنزل صيفاً فتجري في الوديان المتشعبة من الجبال وتنصب جميعاً في النيل الأزرق فيطفح بالمياه وبالطين ، وينقل البركة والخير إلى بلاد السودان ومصر

ولنذكر بمد ذلك المرتفعات التي في أرض الحبشة :

الأرض الشامخة لساحل في المستعمرات الطليانية والفرنسية والبريطانية منخفضة وسهلة ، وكلما تقدمنا من الشرق إلى الغرب